

مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

والتاسع هجوماً عنيفاً على مكرمي الأيقونات وحصلت الإضطهادات وذهب ضحيتها عدد كبير من المؤمنين الذين سُفكت دماؤهم من أجل الإيمان القويم. وبعد مئة وعشرين سنة، أي سنة ٨٤٣، انتهت هذه الحرب بفضل الإمبراطورة ثيودورا في القسطنطينية التي أعلنت نهائياً وجوب تكريم الأيقونات.

لكن ربّ سائل يقول ماذا يوصي الكتاب المقدس؟! نعلم من خلال العهد

القديم أن الله لم يكن قد ظهر للناس بالجسد، بل كان يظهر بأفعاله وأقواله وقيادته لمسيرة الشعب المختار إلى أرض الميعاد. لذلك حرمت الوصايا العشر

صنع أي رسم أو منحوت لله بسبب الخوف من الوقوع في الوثنية: «لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما ممّا في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن» (خروج ٤:٢٠ وتثنية ٦:٥-٩). هذه الوصية جاءت بسبب الخوف من السجود للأيقونة لأن الإنسان أله أهواءه ورغباته وعبد إلهاً صنعه بيده. لكن الإله الحقيقي هو الإله الذي يكشف عن ذاته لنا كما هو وليس كما نظنه نحن ونريده.

الأيقونة

كان مسيحيو القرون الأولى يقيمون الصلاة في بيوتهم، وبسبب الاضطهادات كانوا يستعملون الرموز والإشارات للتعرف فيما بينهم. فاستعملوا مثلاً السمكة كوين حروف كلمة سمكة باليونانية تمثل الأحرف الأولى من عبارة «يسوع المسيح ابن الله المخلص». بعد مرسوم ميلانو الإمبراطوري عام

٣١٤ الذي رفع الاضطهاد عن المسيحيين واعتبر المسيحية ديانة الدولة الرسمية بدأت الأيقونات بالظهور وكانت أغلب الأيقونات تمثل السيد على العرش... حاولت

الكنيسة الاستفادة منها تعليمياً، لكن بعض المسيحيين خافوا أن يتخذ هذا الإكرام شكل عبادة وثنية. إلا أن إكرام الأيقونات تقدّم وكان مصحوباً بإكرام ذخائر القديسين والشهداء التي وضعت في صناديق خاصة عليها رسم للقديس. وهكذا انتقلت قداسة هذه الذخائر إلى الأيقونات. لكن بسبب الانتقادات الشديدة الموجهة ضد الأيقونات، من اليهود وبعض المسيحيين المتزمتمين، شنّ الإمبراطوران ليون الثالث والخامس في القرنين الثامن

الرسالة

(عبرانيين ١١:٢٤-٢٦،

٣٢-٣٩)

يا إخوة بالإيمان موسى لما كبر أبى أن يدعى ابناً لابنة فيرعون* مختاراً الشقاء مع شعب الله على التمتع الوقتي بالخطيئة* ومعتبراً عار المسيح غني أعظم من كنوز مصر. لأنه نظر إلى الثواب* وماذا أقول أيضاً. إنه يضيق بي الوقت إن أخبرت عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والأنبياء* الذين بالإيمان قهروا الممالك وعملوا البر ونالوا المواعيد وسدوا أفواه الأسود* وأطفأوا حدة النار ونجوا من حد السيف وتقوّوا من ضعف وصاروا أشداء في الحرب وكسروا معسكرات الأجنبي* وأخذت نساء أمواتهن بالقيامة وعذب آخرون بتوتير الأعضاء والضرب ولم يقبلوا بالنجاة ليحصلوا على قيامة أفضل* وآخرون ذاقوا الهزء والجلد والقيود أيضاً والسجن* ورجموا ونشروا وامتحنوا وماتوا بحد السيف. وساحوا في

العدد ١٢/٢٠٠٥
الأحد ٢٠ آذار
الأحد الأول من الصوم
أحد الأرثوذكسية
تذكار أبائنا الأبرار المقتولين
في دير القديس سابا
للحن الأول
إنجيل السحر التاسع

جلود غنم ومَعزٍ وهم مُعوزون مُضايِقون مَجْهودون* (ولم يكن العالمُ مستَحَقاً لهم). وكانوا تائهين في البراري والجبال والماور وكهوف الأرض. فهوَّاء كلهم مشهوداً لهم بالإيمان لم ينالوا الموعد* لأن الله سبق فنظر لنا شيئاً أفضل أن لا يكملوا بدوننا.

الإنجيل

(يو ١: ٤٤-٥١)

في ذلك الزمان أراد يسوع الخروج إلى الجليل فوجد فيلبس فقال له اتبعني* وكان فيلبس من بيت صيدا من مدينة إندراوس وبطرس* فوجد فيلبس نثنائيل فقال له إن الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء قد وجدناه وهو يسوع ابن يوسف الذي من الناصرة* فقال له نثنائيل أمين الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح* فقال له فيلبس تعال وانظر* فرأى يسوع نثنائيل مقبلاً إليه فقال عنه هوذا إسرائيلي حقاً لا غش فيه* فقال له نثنائيل من أين تعرفني. أجاب يسوع وقال له قبل أن يدعوك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك* أجاب نثنائيل وقال له يا معلم أنت ابن الله أنت ملك إسرائيل* أجاب يسوع وقال له لأنني قلت لك إنني رأيتك

لماذا إذاً التركيز على الأيقونة؟ حسب تعليم القديس يوحنا الدمشقي الأيقونة مبنية على كون الإبن تجسد وصار منظوراً. أي أنها تعبير عن الإيمان بتجسد ابن الله الذي صار صورة منظورة، وعن تأله الجسد المادي وتجليه. صار من الممكن أن نرسم للإبن أيقونة لأننا قد رأيناه «ووجدناه» (يو ١: ٤٥). المؤمن الحقيقي يطلب رؤية وجه يسوع، فهو يسعى إليه ويشتهي رؤياه تماماً كما فعل نثنائيل عندما دعاه فيلبس قائلاً له: «تعال وانظر» (يو ١: ٤٦) أي انظر إلى وجه يسوع واستمع إليه قليلاً فترى نفسك منجذباً إليه. إذاً الأيقونة تضعنا أمام الشخص المرسوم وتدخلنا في حوار معه. الإنسان المؤمن لا ينظر إلى الشخص المرسوم على أنه إنسان عادي بل إله يحرك كل كيانه وروحه وليس فقط أحاسيسه ومشاعره، لذا الأيقونة هي أداة تصلنا بالله وتضعنا في حضرة: «ها أنذا واقف على الباب أقرع» (رؤ ٣: ٢٠). من خلالها يصير الله في وسط حياتنا وكل أعمالنا.

الإنسان المؤمن يعرف الحق في ما يسلك وفي ما يسعى إليه. فهو باختصار يطلب رؤية وجه يسوع، وهذا هو هدف الكنيسة. لذلك الأيقونات في البيوت والكنائس ليست قطعاً فنية للعرض أو الزينة إنما هي أداة صلاة وتضرع ووسيلة تمجيد للخالق. رؤية الأيقونة يجب أن تترافق مع طهارة القلب لأنه «طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله» (متى ٥: ٨). لذلك فإن طهارة الإنسان المؤمن تجعله يرى الأيقونة فعلاً وما تمثله هذه الأيقونة.

رؤية الأيقونة فيها تعفف في المسلك وهذا ما ينعكس من المصور إلى الناظر. الكنيسة تطلب من مصور الأيقونات أن يكون طاهراً، عفيفاً عاكفاً على الصلاة والاتحاد بالله

ليعكس ما يسكبه الروح القدس في قلبه على الصفحة البيضاء التي أمامه بنعمة فن الرسم الممنوحة له من الله. فيأتي الإنسان المؤمن ويقف أمام الأيقونة فيسجد، ويرسم علامة الصليب ويضيء الشموع ويشعل قنديل الزيت أمامها ويبخرها ويتبارك بها وينال الشفاء بواسطتها. بوجودها يلتصق الإنسان قوة روحية. لذلك يقول القديس يوحنا الدمشقي «إن الأيقونة هي قناة للنعمة ذات قوة تقديسية». إنها حضور حسي للرب فيما بيننا بواسطة ابنه الوحيد يسوع المسيح ووالده ومختاربه. وبما ان الحضور مقدس الأداة فالأيقونة يقدسها الشخص الذي تمثله. يقول القديس يوحنا الدمشقي «الأيقونة هي وجود الروح القدس فيما بيننا». فعندما ينظر الإنسان المصلي إلى الأيقونة يحتضنه الروح القدس لكي يلتصق بوضوح أسرار الإيمان.

إضافة إلى ذلك، الأيقونة وإن ظهرت كفن تصويري متقن جميل، فهي مقرونة بالوعظ والتعليم. يعتبر القديس باسيليوس الكبير أن الرسم وسيلة إقناع تفوق أحياناً وسيلة الكلام: «أكملوا بموهبتكم ومقدرتكم التصويرية الوصف غير الكامل الذي أدبته أنا بكلامي...». إذا الأيقونة هي إنجيل بصري مفتوح باستمرار أمام كل مبصر، ليعلن له ان الله قد ظهر لنا. لذا يقول القديس يوحنا الدمشقي: «يتوجب على المؤمن أن يقود غير المؤمن إلى الكنيسة ويضعه أمام الأيقونات، فما يقوله الكتاب المقدس بالكلمة، تبشرنا به الأيقونة باللون وتجعله حاضراً لنا». ما يقصده القديس الدمشقي هو أن يمتلك كيان الإنسان من حب الله فيصلي ويسجد كما كان يحدث معه تماماً: «عندما تعذبني أفكاراً وتحول دون تذوقي القراءة، أمضي

تحت التينة أمنت. إنك ستُعَاين أعظم من هذا» وقال له الحقُّ الحقُّ أقولُ لكم إنَّكم من الآن ترون السماءَ مفتوحةً، وملائكةَ الله يصعدون وينزلون على ابن البشر.

تأمل

عندما نأمنُ إلى الله حقيقةً، نعترف أن وعوده حقيقيةً ومنتظر تحقيق هذه الوعود بسرعة. يظهر ذلك من خلال أعمالنا الحسنة واتباعنا وصاياه. وعندما نوؤمن بالله، نفكر به بطريقة مستقيمة. كيف نتحقق من ذلك عن طريق توافق إيماننا مع الآباء المتوشحين بالله. وإذا أماناً إلى الله، قاومنا شهوات جسدنا، وكذلك فحاش العدو، وأيضاً أولئك الذين يجروننا إلى الملذات الدنيئة. إن أماناً باستقامة بالله الحقيقي، لا نقاوم الشرير فقط، بل أيضاً الناس الأشرار.

لذلك فإن كنيسة المسيح، أماناً الروحية المشتركة والمغذية إيانا، تركز لنا من جهة بصورة علنية واضحة بكل الذين لمعوا بحسب تقواهم وفضيلتهم ومجامعهم وعقائدهم، ومن جهة ثانية تدحض بصورة رسمية قاطعة أتباع عدم التقوى وتعاليمهم الشريرة وأفكارهم. وهكذا نبتعد عن

إلى الكنيسة فينسحر نظري ويدفع نفسي إلى تسبيح الله. أتأمل في شجاعة الشهيد فيلهبني حماسةً وإذ ذاك أسجدُ أمام أيقونته وأصلي إلى الله بشفاعة الشهيد».

الإنسان المسيحي اليوم مدعو إلى تخصيص زاوية في منزله للأيقونات تعبيراً عن إيمانه بيسوع المسيح الذي صار إنساناً من أجله. يجب وضع أيقونات القديسين التي تشهد ان الإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله (تكوين ١: ٢٦). الإنسان المسيحي مدعو إلى القداسة على مثال الله عبر تنقية نفسه كصورة حية لله، وعبر تنقية نفسه بالصوم حتى يستعيد صورة الله فيه التي شوهتها الخطيئة. وما أيقونات القديسين إلا شهادة حية على قداستهم وحث كل إنسان على الجهاد الروحي ليستعيد ما فقدته قديماً ويعود من جديد ليكون في حضرة الرب، في ملكوته.

تأمل في بشارة والدة الإله

«اليوم تبتهج الخليفة كافة، لأن رئيس الملائكة هتف نحوك صارخاً: افرحي أيتها المباركة النقية، والطاهرة البريئة من جميع العيوب، اليوم يتلاشى تشامخ الثعبان، لأن رباط لعنة الأب الأول ينحل. فلذلك نهتف نحوك: افرحي أيتها الممتلئة نعمة» (من صلاة سحر العيد).

«عيد بشارة والدة الإله أحد أجمل أيام السنة وأكثرها فرحاً، وذلك لما يحمله من نظرة مشرقة ومتهللة للعالم وللحياة.

يورد الإنجيلي لوقا حادثة البشارة في أول إنجيله (١: ٢٦-٣٨). طبعاً هذه القصة بحسب المنظور المسمى «العلمي» الإلحادي تحمل الكثير من الأساطير والخرافات. هؤلاء القائلون

بمذهب العقل سوف يقولون: كيف يمكن لملاك أن يظهر لفتاة ويجري محادثة معها؟ هل يظن المؤمنون حقيقة ان إنسان القرن العشرين الذي يعيش في حضارة التكنولوجيا سوف يصدق هذا؟ ألا يرى المؤمنون سخف هذا الأمر واستحالاته وبعده عن العلم؟

المؤمنون يجيبون دوماً هؤلاء الأشخاص: نعم إنه ليستحيل أن يستوعب منظوركم السطحي هذا الأمر، طالما حججكم حول الله والدين معتمدة على المستوى الظاهري (الخارجي) للاختبارات الكيميائية والمعادلات الرياضية. لكن الكيمياء والرياضيات لا يساعدان على برهنة أو نسف أي شيء يختص بعالم الله والدين. في لغتكم العلمية، الكلمات ملاك وبشرى سارة وفرح وتواضع لا تعني أي شيء. لكن لماذا حصر النقاش في الدين؟ أكثر من نصف الكلمات المستعملة في الشعر والأدب والفلسفة لا تفهمها لغتكم العقلانية. أنتم تريدون أن يفكر العالم كله مثلكم بعبارات «الإنتاج»، «القوى الإقتصادية»، و«البرامج»، وهذا أمر غير طبيعي. أنتم تقولون ان كل تخيل أمر خاطئ لأن «الخيال» غير موجود. إلا ان التخيل هو ما كان يحيا به الإنسان وسيبقى، لأن كل شيء عميق وضروري للحياة عبر عنه دوماً بلغة التخيل.

أنا لا أدعي فهم ما هو الملاك، ولا أستطيع تفسير ما حدث منذ حوالي ألفي سنة في تلك القرية الجليلية الصغيرة. لكن ما يبهرني هو ان البشرية لم تنس تلك الحادثة، وتلك الآيات القليلة التي ألهمت تكراراً الكثير من الشعراء وناظمي التسابيح والصلوات وراسمي الأيقونات وغيرهم. هذا يعني، ان الشعب سمع أمراً بغاية الأهمية من خلال هذه

هؤلاء وتتبع أصحاب الرأي القويم. نؤمن بالله واحد، أب وابن وروح قدس، منه وبه ومن أجله صار كل شيء، وهو واحد في ثلاثة ومثلث في واحد: أقانيم ثلاثة متحدة بلا امتزاج وموزعة بلا انفصال.

الأب، هو أب بلا زمن، أزلي وبدون ابتداء. إنه المصدر الوحيد وعلّة الألوهة الكائنة أيضاً في الابن وفي الروح القدس. ليس فقط بخالق، بل هو أيضاً أب وحيد لابن واحد وباتق وحيد لروح قدس واحد كائن بصورة دائمة، وأب كائن على الدوام وكائن وحده كآب وكمثبت منه.

له ابن واحد أزلي معه بلا ابتداء معه في الزمن. وفي الوقت نفسه مولوداً من الأب قبل الدهور والأب مصدره، علقته. جاء منه قبل الدهور بلا هيولة (مادة)، منزهاً عن كل هوى، بلا سيلان... هو إله من إله ...

والروح القدس ينبثق من الأب الأزلي الذي لا بدء له، وهو مع الأب والابن في عدم البداية. ليس بلا ابتداء كأقنوم الأب لأن أصل الروح القدس وبداءته وعلقته هو الأب. انبثق منه قبل كل الدهور ولا ينفصل عن الأب والابن، متحداً معهما بدون امتزاج، ومميزاً عنهما بدون انقسام.

القديس غريغوريوس بالاماس

الكلمات، سمع حقيقة لا يمكن أن يُعبّر عنها إلا بهذه الكلمات المفرحة في إنجيل لوقا. ما هي هذه الحقيقة؟ هي ما حدث مع الفتاة التي بالكاد اجتازت طفولتها، وهو انها سمعت من الأعالى السلام: «إفرحي». هذه هي رسالة الملاك لمريم: إفرحي.

الناس لا يعرفون معنى هذه الكلمة. لكن هذا الفرح الذي أعلنه الملاك يبقى القوة الدافعة القادرة على تحريك الإنسان. اذهب إلى الكنيسة ليلة عيد البشارة واشترك في الصلاة واستمع إلى صوت المرنمين ينشدون الترانيم الإلهية: «... وجبرائيل بالنعمة يبشر، لذلك ونحن معه لنهتف نحو والدة الإله: افرحي أيتها الممتلئة نعمة الرب معك» (طوبارية العيد).

لقد مرت مئات السنين وما زالت هذه الدعوة لنا إلى الفرح مستمرة، والسعادة تملأ قلوبنا بحرارة. ما سبب هذا الفرح؟ إنه أولاً الفرح بحضور هذه الفتاة التي يعرف العالم وجهها وصورتها والتي تنظر إلينا عبر الأيقونات، والتي صارت إحدى أرقى الصور وأنقائها في الخيال البشري. نفرح لجوابها إلى الملاك ولأمانتها ونقاوتها وكمالها. نفرح لعطائها ذاتها كلها وللتواضع اللامتناهي. هذه كلها حملها لنا كلماتها البسيطة: «هوذا أنا أمة الرب». ليكن لي كقولك» (لو ١: ٣٨). هل يوجد أمر في هذه الدنيا الغنية والمعقدة بالتاريخ، أكثر سموً وجمالاً من هذه الإنسانية؟

ان مريم النقية والممتلئة نعمة، هي حقاً التي تنشد الكنيسة عبرها «كل الخليقة تبتهج وتفرح». هناك كذبة ملفقة حول الإنسان اختصرته بالشهوة والدناءة والوحشية، وتدعي انه مستعبد لقوانين الطبيعة اللاإنسانية. الكنيسة تجيب على هذه الكذبة بالإشارة إلى صورة مريم

والدة الإله الكلية الطهارة التي لها «تدرف أحلى دموع البشرية المتدفقة من ينابيع القلوب» كجدول لا ينضب. العذراء وحدها تكشف الكذب حول الإنسان، لذا نفرح ونسر ونتعجب لأن صورتها معنا تعزينا وتشجعنا وتلهمنا وتساعدنا. نفرح عندما ننظر إلى صورتها لأنها تسهل علينا الإيمان بجمال العالم الإلهي وبدعوة الإنسان السماوية والسامية. فرح عيد البشارة هو في البشارة السارة التي حملها الملاك وهي ان البشر وجدوا نعمة لدى الله، وقرىبا سوف يبدأ الله، عبر هذه الفتاة الجليلية غير المعروفة، تحقيق سرفداء العالم. عبرها سوف يصير الطفل ملكاً: طفل ضعيف لا قوة له، لكن عبره سوف تتجدد قوى الشر من كل قواها.

هذا ما نعيده له في البشارة وهو مصدر فرحنا. وأكرر اننا لن نفهمه بكلمات العلم الأكاديمية الإلحادية بل فقط من خلال خبرة الكنيسة عندما تهتف مع رئيس الملائكة: إفرحي يا ممتلئة نعمة!

عن كتاب «والدة الإله»
للأب الكسندر شميمين

بشارة والدة الإله

بمناسبة عيد بشارة سيدتنا والدة الإله الكلية القداسة يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الخميس ٢٤ آذار ٢٠٠٥ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الجمعة ٢٥ آذار ٢٠٠٥ في كنيسة بشارة السيدة في الأشرافية.

بالامكان الإطلاع على النشرة
أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb